

الأهلية الاسبانية ، إذ كنا يومئذ على مقربة من اسبانيا مسرح المأساة ، وقرأنا فيما قرأنا من أنبأنا أن طائرات حكومة مدر يدقد ضربت مدينة غرناطة بالقنابل ( وغرناطة ومعظم قواعد الأندلس الأخرى ما زالت بيد الثوار ) ، وأن قنابل قد سقطت على قصر الحمراء فأتلقت بعض جدرانها ، فأثار هذا النبأ في نفوسنا شجنا وأسى ، وكتبنا يومئذ نلفت نظر العالم الثمندن ، ونظر المسلم الاسلامى خاصة الى ذلك الخطر الدام الذى يهدد تراث الاسلام فى اسبانيا

وهذه مأساة القصر (الكاتار) المروعة بجوار طليطلة ، وقد خرب فيها حصن القصر القديم الذى يرجع معظم بنائه الى العصر الاسلامى

وفى الأنباء الأخيرة أيضا أن زعماء الثورة رأوا أن يجتذبوا ولاء الجنود المغاربة وأن يثيروا حماسهم بأن يسمحوا لهم بإقامة الصلاة فى جامع قرطبة الكبير الذى هو اليوم كنيسة جامعة ؛ ونحن نفتبط إذ يستطيع المسلمون أن يؤدوا شعائرهم فى ذلك المسجد الجامع القديم الذى هو أبداع آثار الدولة الأموية فى الأندلس ؛ ولكننا نخشى أن تؤدى الفوضى العسكرية فى مثل هذه الظروف الى تشويه هذا الأثر الاسلامى الخالد أو تخريبه

والآن يزحف الثوار على مدريد ويطوقونها من الشمال والجنوب والغرب ؛ وتضطرم حول العاصمة الاسبانية وفى سائر حرب طاحنة لا يقف التحاربون فيها عند شيء ولا يفرون شيئا ، وفى مدريد متحف يضم كثيرا من الآثار والنقوش الاسلامية ؛ وعلى مقربة من مدريد تقع ضاحية الاسكوريال ، وفيها الدير المسمى بهذا الاسم والقصر الملحق به الذى يضم المكتبة العربية الشهيرة ؛ فالآن وهذه المارك الطاحنة تدور حول مدريد بين جيوش الحكومة وجيوش الثورة ، ماذا يكون مصير الاسكوريال ومصير الآثار والكتب العربية ؟ هذا سؤال زرده جزهين خصوصا بعد الذى رأينا من روعة هذه الحرب التى تجتاح فى طريقها كل شيء ولا تقف عند أى اعتبار انساني لقد عملت اسبانيا النصرانية فى إبان غلواتها وتمصيبها على

تبيد معظم تراث الاسلام ، وكانت يوم مصرع الأندلس ، ويوم كانت لا تزال تضطرم بروح المصور الوسطى ، تشبه هذا التراث رجسا يجب أن يعنى من أرضها ومن تاريخها القومي ؛

## انقدوا تراث الأندلس

واجب الامم العربية والاسلامية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

قرأنا فى الأنباء الأخيرة أن مندوب بوليفيا (من جمهوريات أمريكا الجنوبية) لدى عصبة الأمم قد أثار أمام إحدى لجان العصبة مسألة الآثار الفنية فى اسبانيا وما يهددها من الأخطار من جراء الحرب الأهلية الطاحنة التى تجتاح اسبانيا من أقصاها إلى أقصاها ، وطلب أن تعمل العصبة لحماية هذه النفاثر الفنية ولا سيما فى الأماكن التى تهددها ويلات الحرب ونحن نعرف أن عصبة الأمم لا تملك وسيلة للتدخل الفعلى فى المأساة الاسبانية ، ولا تستطيع مع الأسف أن تعمل شيئا لحماية الآثار الفنية فى اسبانيا

يبد أن لهذه الصيحة الكريمة التى يرسلها مندوب بوليفيا قيمتها وأهميتها فى تذكير العالم الثمندن بأن فى اسبانيا تراثا فنيا بديما هو اليوم رهين القدر ، ووشيك التبدد والفناء ، إذا لم تتداركه يد الحماية والنوث

وهذه صيحة يجدر بنا أن نردها . ذلك أن بين هذا التراث الذى تحدى به الأخطار من كل صوب بقية نفيسة من تراث الاسلام فى اسبانيا ؛ هنالك فى غرناطة الحمراء وجنة الريف وأبهاؤها وقوسهما الرائعة ، وهنالك فى أشيلية قصر بنى عباد ، وبرج « الجيرالدا » ، وهنالك فى قرطبة مسجدها الأموى الجامع الذى ما زال رغم تحويله إلى كنيسة من أروع الآثار الاسلامية ، وهنالك تراث الاسلام الفكرى فى قصر الاسكوريال ؛ وهنالك آثار ونقوش اسلامية كثيرة فى معظم المتاحف والمدن الاسبانية ؛ وكلها مما يلقى أعظم ضياء على تاريخ اسبانيا السلف وحضارتها فى أزهر وأجد مصورها (١)

ولقد كنا أول من أرسل هذه الصيحة منذ بدء الحرب

(١) عن الأستاذ المتفرق لفي بروقتال بجميع النقوش والنصوص الأثرية الاسلامية فى اسبانيا وصرحها وترجمتها للفرنسية فى كتاب ضم فى مجلدين عنوانه « النقوش الاسلامية فى اسبانيا » Inscriptions Arabes d'Espagne وبه سور عديدة لهذه النقوش والنصوص

النار والقنابل ، أم يجدر بالأمة الإسلامية أن تحذو حذو مندوب بوليفيا لدى عصبة الأمم فترفع صوتها مطالبة بالعمل لانقاذ وحمايته ؟ نفتقد أن الأمم الإسلامية المختلفة تستطيع أن تبذل على يد حكوماتها من المساعي في هذا السبيل ما يكفل لفت نظر الفريقين المتحاربين في اسبانيا إلى احترام هذا التراث المقدس الذي لا يعنى أمره اسبانيا وحدها ، بل يعنى أمره العالم العربي والاسلامي أيضاً ، ويعنى أمره العالم المتمدن بأسره .

ولسنا نعرف أى سبيل ستتخذ عصبة الأمم إذا استجابت لدعوة مندوب بوليفيا ، وهى بلا شك سوف تحلها مكانها من الأهمية والمناية ؛ وليست الوسيلة مما يهيم في الواقع ، وكل ما يهيم هو أن يصل هذا النداء إلى حماية الآثار والذخائر الفنية إلى الفريقين المتحاربين في اسبانيا ؛ وإذا لم يكن في وسع الأمم والحكومات ذات الشأن أن تسام في هذه الدعوة بطريق مباشر ، وأن تتصل في ذلك بطريق التوار ، وهم يسيطرون على أشيلية وقرطبة وغرناطة ، فلا بأس من أن تسام فيها على يد عصبة الأمم ذاتها

ونحن نعرف أن حوادث الحرب الاسبانية ، ووسائلها الخربة ، ومناظرها المؤسفة ، كانت مثار الروع والأسى في جميع الأمم للتمدنة ، ونعرف أن حكومات بعض الدول العظمى قد فكرت في أن تقوم بالسي في سبيل تخفيف ويلات هذه الحرب الأهلية الطاحنة ، وحمل الفريقين المتحاربين على اتباع القواعد الانسانية ، وربما بذلت بعض النصح في هذا السبيل ؛ ولا ريب أن تحطيم الآثار والذخائر الفنية لا يقل شناعة عن سفك الدماء ذاته ، ومن أقدس واجبات الجيوش للتمدنة أن تحرص على قدسية هذا التراث الفني وصونه من كل اعتداء

هذا ويجدر بالهيئات المليبية والثقافية في الأمم العربية والاسلامية أن تتخذ الخطوة الأولى في هذا السبيل ، فنبث إلى حكوماتها المختلفة ما يساورها على مصير الآثار الأندلسية من جزع ، وترجوها أن ترفع صوتها الرسمي بالدعوة إلى حمايته ، وأن تبذل في ذلك السبيل ما استطاعت من السى الودى ؛ وفي وسع هذه الهيئات المليبية والثقافية أيضاً أن تذيب دعوتها في الصحافة الدولية ، فللصحافة الدولية صوت مسموع ، وفي وسعها أن تقوم بدور في هذا الشأن ، وهى ما زالت تنوء بشناعة الاجراءات

فلم تحض أعوام قلائل على سقوط غرناطة حتى أمر الكردينال كنيس بالكتب العربية فجمعت من سائر الأنحاء وأحرقت أكداساً في أكبر ميادين غرناطة ، وكان منها ألوف مؤلفة من كتب الدين والفقه والتاريخ والأدب وغيرها ، ولم يستثن منها سوى ثلثمائة من كتب الطب والرياضة وهبت لجامعة الكالا ( القلعة ) التى أنشأها كنيس ، وأيد بتلك الجرعة البربرية التى ارتكبت عام ١٤٩٩ معظم تراث الأندلس الفكرى <sup>(١)</sup>

ومع ذلك فقد بقيت من الكتب العربية في اسبانيا مجموعة كبيرة أودعت في أقبية الأسكوريال ، وأخفيت بعناية عن نظر كل باحث ومتطلع ؛ وكان عددها حتى أواسط القرن السابع عشر يبلغ نحو عشرة آلاف مجلد ؛ ولكن عمدة جديدة أصابت هذه البقية الباقية من تراث الأندلس ، ففي سنة ١٦٧١ شبت النار في الأسكوريال والتهمت معظم هذا الكنز الفريد ، ولم يتقد منه سوى ألفين ، هى التى عهدت الحكومة الاسبانية في منتصف القرن الثامن عشر الى العلامة اللبناى ميشيل النزرى بحفظها وتصنيفها في فهرسه الجامع <sup>(٢)</sup> ، وهى التى بقيت إلى يومنا من تراث الأندلس

هذا عن تراث الأندلس الفكرى . أما عن الآثار المسادية ، فقد حولت جميع المساجد الجامعة إلى كنائس ، وتناولتها يد التدمير بالهدم والتحويل ، ونحيت جميع الذخائر والاعتبارات الفنية في سبيل تحقيق الشهوات الدينية ؛ ولم يأت القرن الثامن عشر حتى كادت آثار الاسلام كلها أن تمحى من اسبانيا ؛ ولم يبق منها سوى سمراء غرناطة ومسجد قرطبة والقصر في أشيلية ومجموعة من اللوحات والتحف والنقوش الأثرية في متاحف مدريد وقرطبة وبنبلونة وأشبيلية وغيرها

هذه البقية الباقية من تراث الاسلام في اسبانيا يحدق الآن بها خطر داهم ، ونخشى بحق أن تمتد إليها يد التدمير التى تحطم الآن كل شئ في طريقها ؛ فهل تبقى الأمم الاسلامية على صمتها وجودها حتى تقع الفاجعة ويمحى ذلك التراث المميز تحت وابل

(١) تقدر الرواية الاسبانية عدد الكتب العربية التى ذهبت ضحية هذه الجرعة الشائنة بنحو ثمانين ألفاً

(٢) Casisi : Bibliotheca Arabico Hispana Escorialensis  
أو « المكتبة العربية الاسبانية في الأسكوريال » وهو باللاتينية في مجلدين كبيرين